

الغبريني مترجم سير علماء بجاية

El Ghobrini; interpreter of Bejaia scientist's biographies

نجاة بلعباس

nadjetdz13@yahoo.com

الأستاذ الدكتور: محمد مرتاض

جامعة تلمسان

ملخص:

ازدهرت الحياة الثقافية والفكرية بحاضرة بجاية؛ وغدت مركزا ثقافيا مرموقا ينافس سائر مراكز الحضارة بالمغرب الإسلامي، فانتعشت حركة التأليف وشكلت رافدا مهما من روافد المعرفة أبرزها كتب التراجم، وقد وقع اختياري على أحد أبرز هذه المؤلفات ألا وهو كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني الذي استطاع من خلاله التأريخ لعلماء بجاية إبان القرن السابع الهجري، لذا سيسعى هذا البحث لعرض أهم ما يتعلق بمؤلف الكتاب ومنهجه في ذلك، فضلا عن أنه يعدّ مادة قيمة للباحث والأديب والشاعر والمتتبع للعلوم الدينية واللسانية والعقلية في تلك الفترة، فنجدد يعرف بالعلماء ويصف أحوالهم ويتتبع علومهم وآثارهم الأدبية والصوفية بأسلوب دقيق مختصر، مدعما ذلك بذكر أسانيدهم فجاء كتابه سجلا حافلا بأنواع المعلومات التي لا يستغني عنها من أراد الاطلاع على تاريخ الحضارة وأشهر علمائها.

الكلمات المفتاحية: الغبريني، السير، العلماء، الأعلام، بجاية، عنوان الدراية.

Summary:

Cultural and intellectual life has known a prosperity in Bejaia city; and has taken a cultural central position that competed with other centers of civilization in the Islamic Maghreb, when authoring movement revived and formed an important branch of knowledge, From most notably the books of translations, I chose one of the most important ones: ED-Diraya, of Abou Al-Abbas El-Ghobrini, through which he managed the history of the scholars of Bejaia during the seventh century, This research will present the most important aspects of the author of the

book and its methodology in authoring, as well as it is valuable very useful for the researcher, in religious, linguistic and mental sciences in that period, He presents scientists and describes their conditions and keeps track of their knowledge of literary accurate with brief manner, supported by mentioning their sustenance, this book came with different types of information indispensable for who wants to learn about the history of the region and its scientists.

Keywords: El-Ghobrini, biographies, scientists, Bejaia, Know how title.

مقدمة:

تعدّ بجاية واحدة من أبرز المراكز الحضاريّة بالمغرب الأوسط، فقد ذاع صيتها إلى جميع بلدان المغرب الإسلامي؛ فصارت حاضرة كبرى تنافس مثيلاتها من سائر مدن البحر المتوسط، وذلك بفضل إسهاماتها العلميّة والثقافيّة المتميّزة وبخاصّة بعد احتضانها لعديد التيارات والطرق الصوفيّة، ما جعلها تستأثر بجمع غفير من العلماء والصوفيّة الذين دأبوا على ممارسة نشاطاتهم العلميّة والدينيّة بها، فضلا عن توفّرها على الكثير من المعاهد التعلّيميّة المتنوّعة التي سهّلت عليهم مهمّة التدريس ولقاء الشيوخ والأخذ عنهم.

ويبدو أنّ غنى بجاية بثّلة من العلماء الأجلّاء والشيوخ الصوفيّة قد استرعى انتباه المؤرّخين فراحوا يترجمون للأعلام البجائيين ويُعدّدون مناقبهم، ما دفع بقاضي بجاية أبي العبّاس الغبريني لتأليف كتاب عنوان الدّراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المائة السّابعة ببجاية الذي وثّق فيه النّشاط العلمي والفكري لكمّ هائل من علماء بجاية الأصلاء أو الوافدين عليها باختلاف تخصّصاتهم، وبخاصّة ما تعلّق بالعلوم الدينيّة وفق منهج معيّن عمد فيه إلى تقصّي كلّ كبيرة وصغيرة، ومن هنا نطرح التساؤلات الآتية: كيف تمكّن الغبريني بكتابه عنوان الدّراية من توثيق تراث علماء بجاية، وما كان منهجه في ذلك؟ وما هو نصيب العلماء من هذا النّشاط العلمي التوثيقي؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لابدّ من تقسيم البحث إلى محاور تناولنا في أوّلها الحديث عن هذا العالم الجليل الغبريني معرّفين بهذه الشخصيّة الفدّة ومصنّفها الفريد عنوان الدّراية محاولين استنتاج منهجه الدقيق في التوثيق، منصرفين في المحور الثّاني لتتبّع أهمّ العلماء المذكورين بالكتاب على اختلاف تخصّصاتهم ومقدار إسهامهم العلمي بالحاضرة، في محاولة جادّة لإبراز أهمّ ما تجود به حاضرة بجاية من علماء أجلّاء ومصنّفات رائقة شأن كتاب عنوان الدّراية وغيره؛ ومدى إسهامه القيّم في جمع تراجم الشيوخ والعلماء بالمنطقة وصولا لمحاولة الكشف عن المنهج العلمي

والتوثيقي الدقيق الذي ييسر على الأجيال اللاحقة مهمة التعرف على التراث العلمي والأدبي للأجداد ومرونة البحث ومطواعيته للعمل.

أولاً: الغبريني وكتابه عنوان الدراية

تواصل النشاط الفكري لعلماء بجاية منذ تأسيسها وازدهر بحلول القرن السابع الهجري، فراحت الحاضرة تؤدّي دوراً هاماً في الحياة العلميّة باعتبارها نقطة استقطاب وتواصل بين مختلف الحواضر فانتعشت حركة التأليف وأولت علماء المدينة حيّزاً من الاهتمام، إلّا أنّه ضئيل لا يتعدّى ذكر بعض التّراجم هنا وهناك، باستثناء الغبريني الذي أفرد لهم كتاباً خاصّاً إبّان الحقبة الذهبيّة التي شهدتها بجاية.

فمؤلّف الكتاب هو « أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني، وكنيته أبو العباس، وقد غلبت عليه شهرته الغبريني نسبة إلى غبري بطن من قبائل الأمازيغ البربر في المغرب الأوسط، وكان ميلاده في أواسط المائة السّابعة سنة 644هـ - 1246م »¹ حيث نشأ هذا العالم ببجاية وتعلّم بها مختلف العلوم وبخاصّة العلوم الدّينيّة؛ فقد حفظ القرآن الكريم وغني بالقراءات والفقه وأصوله ودرس التفسير والحديث، فضلاً عن التّصوّف وسائر علوم اللّغة والأدب والتّاريخ والمنطق، وهذا ما يدلّ على سعة علمه وتنوّع ثقافته «وبعد أن تقدّم في دراسته أخذ يحضر الحلقات العلميّة التي كانت تعقد بالمساجد الكبيرة كالمسجد الأعظم ببجاية وغيره، وكجامع الزّيتونة بتونس»² فقد تتلمذ على يد شيوخ كثر في أماكن متنوّعة تعدّت مسقط رأسه إلى مدن أخرى من المغرب الأوسط وكذا تونس والأندلس، وشملت دراسته العديد من المؤلّفات في شتّى التّخصّصات نالت خلالها الدّراسات الدّينيّة الصّدارة والاهتمام حتّى «بلغ عدد الشّيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم نحو السّبعين شيخاً من أعلام المغرب الأوسط وإفريقيّة والأندلس»³ فكان لكلّ شيخ من هؤلاء الشّيوخ طريقتة الخاصّة في التّدريس والتي تراوحت بين الحوار والمناقشة والتّعليل، فاستفاد الغبريني وأقرانه آنذاك ممّا جاد به مدرّسهم من علوم، حتّى إنّه ذكر بمؤلّفه برنامجاً للمشيخة الذين أخذ عنهم علمي الدّراية والرّواية، ومن أبرز شيوخه نور الدّين أبي محمد عبد العزيز القيسي وأبي محمد عبد الله بن عبادة حيث قال: «قرأت عليهما، وسمعت منهما، وتفقّهت بهما، وما زلت أحضر مجلسهما للاستفادة والتّفحّص، وسمعت من المقروءات عليهما أضعاف ما قرأته بلفظي وما من شيء من الكتب المذهبيّة إلّا وكان يقرأ عليهما من التّهذيب إلى الرّسالة، وما بينهما الجلاب والتّلقين ومختصر ابن أبي زيد وغير ذلك...»⁴

فهذان العالمان قد تمكّنا من علم الفقه فتلقاه الغبريني عنهما بالتّبسيط والفهم والقراءة، فكان يحضر مجلسهما لينال قسطاً من العلوم الفقهيّة وبخاصّة موطّأ الإمام مالك، إلى جانب الكثير من الكتب المفيدة الأخرى وما فيها من

المسائل التي كانت تتناول بالذاكرة والمباحثة، كما لا ننس أيضا شيخه الجليل أبي محمد عبد الحق بن ربيع «الذي أخذ عنه علم التصوّف وإليه يرجع سنده عن أبيه عن الشيخ أبي مدين شعيب، كما نال عنه أيضا بعض علوم الرواية»⁵ ويظهر أنّ الغبريني لم يترك علما من علوم الدّراية أو الرواية إلّا وجاهد نفسه لدراسته وتتبع دقائقه، بالإضافة إلى جلوسه إلى كوكبة من الشيوخ المبرزين في عصره فنال منهم العلم الوافر وترجم لهم في كتابه القيم عرفانا بصنيعهم.

وبما أنّ بجاية قد شهدت نشاطا علميا وثقافيا مزدهرا إبان القرن السابع الهجري فإنّ ذلك مكّن الغبريني من تولّي بعض المناصب أبرزها خطّة القضاء، وعنّها يذكر النّباهي أنّه «وُلّي القضاء بمواضع عدّة آخرها مدينة بجاية، فكان في حكمه شديدا مهيبا، ذا معرفة بأصول الفقه وحفظ لفروعه، وقيام على التّوازل، وتحقيق للمسائل، ولما وُلّي خطّة القضاء ترك حضور الولائم، ودخول الحّمّام، وسلك طريق اليأس من مداخله التّاس»⁶ فقد تولّى الغبريني القضاء في مختلف الأماكن التي تنقل عبرها كان آخرها بجاية، فيرجّح أنّ مردّ ذلك راجع لتقريب الحكّام وولّاة الأمور لكبار العلماء في الدّولة، وتنصيبهم في الوظائف العليا والراتب الحسّاسة نظرا لسعة علمهم ونباهتهم وحسن سياستهم؛ وما زُكّن هذا القاضي لقلة الاختلاط بالنّاس إلّا لتأثّره بالزّهاد والصّوفيّة الذين لقيهم وتلمذ على أيديهم، وهو ما يظهر جليّا في ثنايا مؤلّفه، كما أنّ انشغاله بالقضاء آنذاك لم يثنه عن مزاوله مهمّة التدريس لمُدّة معيّنة، فعلى حدّ تعبير ابن الطّوّاح الذي وقف على حلقة من حلقات الدّرس التي كان يعقدها الغبريني بالجامع الأعظم ببجاية نجده يقول: «ارتحلت إلى بجاية في ذلك العام 698هـ... فرأيت حلقة عظيمة، وسمعت كلاما مسترسلا، فأخبرْتُ أنّه الفقيه المتفنّن القاضي أبو العبّاس الغبريني، فسمعت كلاما رائعا، ورأيت لسانا بالمعارف ناطقا...، محصّلا حافظا، فصيح اللّسان، ذا خطّ بارع وقلم لما يريد مطاوع»⁷ فلموسوعيّة هذا الشيخ فإنّه قد تمكّن من أداء مهمّة التدريس على أتمّ وجه؛ فاجتمع حوله الطّلبة للارتواء من علمه وبخاصّة في علم الفقه وهو ما شهد له به بعض من طلبته وجملة من العلماء الذين ترجّحوا له ولسيرته العلميّة والفكريّة، أمّا عن وفاة هذا العلّامة فإنّ المصادر المؤرّخة لتاريخها قد تضاربت حول السبب والزّمن، واستنادا إلى توافق آراء كلّ من ابن خلدون والقاضي النّباهي وابن الخطيب وابن فرحون فقد أجمعوا على أنّ «أبي العبّاس الغبريني قد وُشي به عند صاحب بجاية من لدن الحاشية ولقّقت له تهم باطلة، فأمر السّلطان بسجنه ثمّ قتله هناك سنة 704هـ»⁸ وكان مردّ هذه التّهم الملقّقة للغبريني محاولة إعاقه مسار المصالحة والتّقارب الذي كان ينشده أبو البقاء خالد مع ابن عمّه أبي عصيدة لجمع إمارة بجاية وتونس ضدّ خطر بني مرين، إضافة إلى نوايا أخرى قد تكون مضمرة للغبريني في

شخصه، فراح ضحية هذا الفعل عالم جليل أفنى عمره في طلب العلم وتعليمه تاركاً وراءه بعض المؤلفات أبرزها عنوان الدراية.

ويُعدّ كتاب عنوان الدراية من أجلّ الكتب التي ألّفت في مجال التّراجم، وبفضله يمكننا الاطّلاع على حيثيات الحياة العلميّة والثّقافيّة بحاضرة بجاية أثناء القرن السابع الهجري مع تيّف من السّنين الأخيرة من القرن السادس الهجري، حيث يقول مؤلّفه: « وإني رأيت أن أذكر في هذا التّقيد من عُرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السّابعة التي نحن في بقيّة العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبدئاً للمسرات أذكر منهم من اشتهر ذكره، ونبل قدره و ظهرت جلالته، وعُرفت مرتبته في العلم ومكانته »⁹ وهنا نجد الغبريني قد افتتح كتابه بذكر بعض الشّيوخ المشهورين إبان نهاية القرن السادس الهجري تبرّكاً بهم، ثمّ عمد لوضع تراجم العلماء في القرن السابع الهجري ممّن كان لهم صيت ذائع في العلم فتطرّق لصفاتهم وأحوالهم العلميّة لتقريبها للقارئ، وقرّهم بشيوخه الذين درس عليهم فاشتملت تراجم كتابه جمعاً مباركا من الشّخصيات الرّائدة من البجائيّين والجزائريّين وكذا الوافدين من مختلف الأماكن كالأندلس والمشرق «ومهما يكن فهو قد قرن كلّ علم من علوم الدّراية أو من علوم الرواية بالشّيوخ الذين درّسوا له هذا العلم أو ذاك، ناظرا في ذلك إلى تخصّص كل شيخ أو كلّ طائفة من الشّيوخ إذا كان قد اشترك في تخريجه فيه أكثر من شيخ »¹⁰ فبالرّغم من اطّلاع الغبريني على كتب من سبقه فإنّه حاول ربط العلماء المترجم لهم بأسانيدهم ومصادرههم الأولى؛ اعترافاً لكلّ هؤلاء بفضلهم على الأجيال اللاحقة واحتراماً للأمانة العلميّة، وهو منهج فريد اعتمده الكاتب متأثراً بشيوخه الذين أخذ عنهم علم الحديث، إضافة إلى أنّه لا يغفل عن تسجيل سائر الأحداث التّاريخيّة المهمّة في حياة هؤلاء الأعلام، ثمّ يُردف نصوصه ببعض النّماذج النّثرية أو الشّعريّة لهم بأسلوب «سهل وساطع فلا نجد له تقعر ولا توغراً، وإنّما يُطلق نفسه على سجيّتها فتسقط الكلمات بخفّة على أفكارها، أو تجذب الأفكار كسوتها اللّغويّة إليها جذبا رقيقا لطيفا ممتعا »¹¹ فالغبريني قد عرض تراجم كتابه في أبهى حلّة معتمدا على السّهولة في الألفاظ والأسلوب حتّى يتمكّن المتلقّي من فهم المقصود منه، ومدلّلا على صحّة ما يقول بجملته من الاستشهادات التي تدعّم أقواله وتثبتها.

ثانيا: علماء بجاية في كتاب عنوان الدراية

شهدت الحياة الثقافية ببجاية إبان عصر الغبريني بروز حركة فكرية مزدهرة حمل لواءها مجموعة من العلماء من أبناء بجاية والمغرب الأوسط، فضلا عن المهاجرين الأندلسيين وغيرهم، حيث يمكن التمييز بين ثلاثة محاور أساسية اعتمدها الكاتب في تدوينه لتراجم هؤلاء الأعلام وقد تراوحت بين «محور الفقه وما يتبعه من علوم الدين والتفسير والحديث، ومحور الأدب من شعر ونثر وتلحق به المدائح النبوية، ومحور المباحث الفلسفية والتصوف بقسميه السني والفلسفي»¹² وهذا ما يثبت تنوع اتجاهات العلماء المترجم لهم، فقد استأثرت الدراسات الدينية وفي مقدمتها الفقه المالكي بنصيب هائل من الاهتمام، يليها الأدب الذي نبغ في فنونه ثلّة من العلماء فكان لهم شعر رائع ونثر فائق، ومدائح تزهى لسماعها النفوس أما التصوف فقد تفرّع إلى نوعين أساسيين ببجاية، أحدهما التصوف السني وقد امتاز أصحابه «بالالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وأساسه الدعوة لله والزهد في الدنيا وتذكر الآخرة، معتمدين على الوعظ والتذكير، ومنهم من تبنّى أسلوب التخويف والترهيب في دعوته إلى الله، وهناك فريق آخر نهج منهج المجاهدات النفسية بكثرة الصيام وإطالة القيام والتهجد، والتقليل من المأكل، والتقشف في أمور الدنيا والزهد فيها»¹³ وهو تصوف بسيط يقبل فيه الصوفي على التركيز على العبادات والاقتداء بالسلف الصالح، بعيدا عن التفكير في القضايا الفلسفية التي قد تجرّ إلى الإلحاد والزندقة، فمارس هذا النوع من التصوف جماعة كبيرة من صوفية بجاية ذكرهم الغبريني في مؤلفه.

أما النوع الآخر من التصوف فهو التصوف الفلسفي ويقوم «على أساس مجاهدة النفس بالصيام والقيام والتذكر، والمجاهدات النفسية الأخرى، حيث يتبعها كشف حجاب الحس والاطّلاع على عوالم من أمر الله، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها، فيتعرّض السالك أو الصوفي حينئذ للمواهب الربانية، والعلوم اللدنية، والفتح الإلهي، وتقرب ذاته في تحقّق حقيقتها من الأفق الأعلى، أفق الملائكة، فهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم»¹⁴ وأساس هذا النوع من التصوف هو المزج بين المجاهدة والنظر العقلي للتمكّن من كشف حجاب الحس وإدراك حقائق الوجود، وقد برز هذا التيار ببجاية وانتشر بين المتصوفة وصار له بعض الأتباع.

وبما أنّ الغبريني قد ترجم لعلماء بجاية فإنّ كتابه لا يخلو حتما من تعرّضه لأبرز أعلام التصوف بعصره، كيف لا وهو العالم المهتمّ بالمتصوفة وبأفكارهم وطرقهم، والمتعلّم على أيدي بعضهم والمنحاز للتشبه بهم في أفعالهم من الابتعاد عن مخالطة الناس، والزهد في الدنيا حيث يقول في برنامج مشيخته «ولقيت كثيرا من مشايخ الصوفية استفدت منهم وأخذت عنهم في بسط رموزهم وفتح مقفل كنوزهم، وحدثوني عن أناس فضلاء منهم»¹⁵ وذلك

لأنّ بجاية كانت آنذاك من أكبر مراكز التصوّف بالمغرب الإسلامي فتمّ فيها للتصوّفية ما أرادوه من توفّر أماكن الذكر والدّرس والعبادة، فاغتنم الغبريني فرصة تواجدهم للاستفادة منهم والنهل من معارفهم القيّمة، ولدى تأليفه للكتاب فإنّه عزّف بهم وذكر صفاتهم وما يمتلكونه من علوم وكذا المصنّفات التي ألفوها، فضلا عن أفكارهم الصّوفيّة وأبرز طلابهم، كما نراه مولعا بسرد كراماتهم إن وُجدت، فمن أبرز شيوخ التصوّف المذكورين في عنوان الدّراية نورد اسم صوفي مشهور في كلّ مدن المغرب الإسلامي، وقد اختار بجاية موطنًا له بعد وفوده من الأندلس وهو سيّدنا أبي مدين شعيب الذي استهلّ الغبريني كتابه بذكر ترجمته فقال فيه إنّه: «الشّيخ الفقيه المحقّق، الواصل القطب، شيخ مشايخ الإسلام في عصره، إمام العباد والزّهاد وخاصّة الخلصاء من فضلاء العباد...فتح الله عليه بمواهب قلبية وأسرار ربّانية، استفادها بالتّوجيه والعمل وارتقى إلى غاية ما يؤمل»¹⁶ فقد انكبّ هذا الشّيخ على التصوّف علما وعملا، فورد عليه الأتباع من كلّ مكان مستمعين لوعظه راغبين في تعلّم دروسه ومبادئ تصوّفه، كما لا نغفل أيضا عن إيراد اسم عالم آخر من علماء بجاية وهو أبو محمد عبد الحق بن ربيع أحمد بن عمر الأنصاري البجائي فقد ترجم له الغبريني واصفا إيّاه «بالشّيخ الفقيه، الإمام العالم المحصّل، المحقّق المجيد، الصّوفي المجتهد، برع في الفقه وأصول الدّين وأصول الفقه، والمنطق والتصوّف والكتابتان الشرعيّة والأدبيّة، وكان ابن مقلة زمانه، القاضي على القضاة بالحقيقة لأنّ مرجع أمرهم إنّما كان إليه، وله في الشّعر الصّوفي الكثير من القصائد»¹⁷ فهذا الشّيخ كان من أهل العلم الفضلاء وقد أخذ من كلّ علم بطرف، بخاصّة وأنّه من أبرز تلاميذ الحرّالي، وفي تلك الفترة أثناء أخذه عنه نظم قصيدته الرّائية المشهورة التي استحقّ عنها ثناء سائر العلماء، حيث أورد الغبريني منها بعض الأبيات من جملتها:

سَفَرْتُ عَلَى وَجْهِ الْجَمِيلِ فَأَسْفَرَا وَبَدَا هِلَالُ الْحُسْنِ مِنْهَا مُقْمَرَا
وَدَنْتُ فَكَاشَفَتِ الْقُلُوبَ بِسِرِّهَا وَسَقَتْ شَرَابَ الْأَنْسِ مِنْهَا كَوْثَرَا
وَرَأَيْتُهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حَتَّى عُدْتُ كُلِّي مُبْصَرَا

إلى أن يقول:

افْصَاحُ قَوْلِي لَا يَفِي بِمَوَاجِدِي وَيَبَاقُهُ لَا يَسْتَقِيلُ بِمَا جَرَى
لَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ يُكْشَفُ لَمْ يَكُنْ سِرًّا وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِيُذَكَّرَا¹⁸

فقد استعمل الشاعر ألفاظا تدلّ على السكر ليعبر بواسطتها عن ما يجتاحه من نشوة صوفيّة تفتح الآفاق أمام قلبه للوصول إلى الحقيقة.

كما اشتهر أيضا ببجاية الأديب اللّغوي النحوي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التّميمي القلعي، له مجلس موقر يدرّس به علوم اللّغة وعنه يقول الغبريني «كان في علم العربيّة بارعا، مقدّما محكما لفنونها الثلاثة النّحو واللّغة والأدب؛ وكان له درس يحضره من الطّلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم، وكان رحمه الله قويّا في علم التّصريف، ومحبّا في التّعليل، تُقرأ عليه الكتب النّحوية واللّغويّة والأدبيّة؛ ويقوم على جميعها أحسن قيام وهو أفضل من لقيت في علم العربيّة»¹⁹ حيث كان الغبريني من أمهر طلبة هذا العالم الذي نظم دروسه على ما ورد بأسماء كتب اللّغة والنّحو، وقد كانت له مؤلّفات عدّة أبانت عن علمه ومقدرته، أمّا العالم أبو القاسم محمد بن اندراس فقد سلك سبيل العلوم العقلية فاشتغل بمهمّة الطب، «فكان طبيبا باحثا جيّدا، وله حدّة ذهن وجودة، تبسّط لإقراء الطب، فكان يحضر مجلسه نبهاء الطّلبة وتجري فيه من الأبحاث ما يعجز الكتب عنه»²⁰ فقد تولّى ابن اندراس أمور الطبّ والأدوية ببجاية حتّى إنّّه نظم رجزا في أسماء بعض الأدوية مستعينا بالغبريني باعتباره أحد أبناء المنطقة والعارف ببيئتها ونباتاتها، فهؤلاء الأعلام ما هم إلّا عيّنة قليلة من علماء بجاية الذين أتحف الغبريني كتابه بترجمة حياتهم وأعمالهم.

الخاتمة:

وبعد عرضنا لهذا الموضوع المتمثّل في الاطلاع على نموذج فريد من كتب التّراجم، وهو كتاب عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني وأبرز ما اشتمل عليه من ذكر العلماء في شتى صنوف المعرفة؛ فإنّنا توصّلنا إلى مجموعة من النتائج هي كالآتي:

- شهدت بجاية نخضة فكريّة وثقافيّة بارزة أفضت إلى انتعاش حركة التّأليف في شتى أصناف العلوم والمعارف.

- يعدّ كتاب عنوان الدّراية للغبريني مرجعا مهمّا نستطيع من خلاله أن نرصد أهمّ حيثيات الحياة الثّقافيّة ببجاية، وأبرز علمائها إبّان فترة ازدهارها وهي القرن السّابع الهجري.

- تميّزت الحركة الصوفيّة ببجاية زمن الغبريني ببروز تيّارات صوفيّة متباينة إحداها مدرسة التصوّف السنيّة، والأخرى مدرسة التصوّف الفلسفيّة، وقد أسهمت كلّ منهما بأعلامها في دفع ازدهار التصوّف وانتشاره بالحاضرة.

- ترجم الغبريني في مؤلّفه للكثير من العلماء في شتى أصناف العلوم، غير أنّه تميّز بتغليبهِ لرواد العلوم الدنيّة أكثر من غيرهم من العلماء، فأحاط بكلّ ما تعلّق بهم ما جعله سجلاً حافلاً بانجازات هؤلاء ببجاية في تلك الفترة يرجع إليه العلماء والطلّاب على حدّ سواء.

هوامش وإحالات:

- ¹ - عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص9.
- ² - عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص25.
- ³ - معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثقافية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1980م، ص248.
- ⁴ - عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، ص(355، 356).
- ⁵ - المصدر نفسه، ص(359، 360).
- ⁶ - المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضا والفتيا، أبي الحسن علي بن محمد المالقي التّباهي، المكتب التجاري، بيروت، دط، دت، ص132، ومعجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص248.
- ⁷ - ينظر سبك المقال لفك العقال، عبد الواحد بن الطّوّاح، تحقيق محمد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م، (198، 203)، وينظر موقف أبي العباس الغبريني من علم التصوّف ببجاية خلال القرنين 6 و7 هـ/12 و13 م، الطّاهر بوناي، مجلّة عصور الجديدة، مختبر البحث التّاريخي تاريخ الجزائر، جامعة وهران، العدد 18، 2015م، ج1، ص230.
- ⁸ - ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص(248، 249)، وينظر موسوعة العلماء والأدباء الجزائريّين، رابح خدّوسي وآخرون، دار الحضارة، دط، 2003م، ص61.
- ⁹ - عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، ص20.
- ¹⁰ - من التّراث الأدبي للمغرب العربي، عبده عبد العزيز قلقيلة، عالم الكتب للنشر، القاهرة، دط، 1979م، ص123.
- ¹¹ - المرجع نفسه، ص124.
- ¹² - ينظر عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق رابح بونار، ص41.
- ¹³ - ينظر التصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هـ/12 و13 م، الطّاهر بوناي، دار الهدى للنشر، الجزائر، ط1، 2004م، ص101.
- ¹⁴ - المقدّمة، عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت، دط، 2001م، ص(613، 614).

- 15 - عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق رابح بونار، ص 309.
- 16 - ينظر عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، ص 22.
- 17 - ينظر من التّراث الأدبي للمغرب العربي، عبده عبد العزيز فلقيلة، ص 79، وينظر عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، ص (57، 58).
- 18 - عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، ص 59.
- 19 - ينظر عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، ص (67، 68).
- 20 - ينظر قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، مفتاح خلفات، دار الأمل للنشر، الجزائر، دط، 2011م، ص 353، وينظر عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، ص 75.

المصادر والمراجع:

1. التّصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هـ / 12 و 13 م، الطّاهر بونابي، دار الهدى للنشر، الجزائر، ط 1، 2004م.
2. سبك المقال لفك العقال، عبد الواحد بن الطّوّاح، تحقيق محمد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1995م.
3. عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1979م.
4. عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أبي العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط 2، 1981م.
5. قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، مفتاح خلفات، دار الأمل للنشر، الجزائر، دط، 2011م.
6. مجلّة عصور الجديدة، مختبر البحث التّاريخي تاريخ الجزائر، جامعة وهران، العدد 18، 2015م، ج 1.
7. المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضا والفتيا، أبي الحسن علي بن محمد المالقي التّباهي، المكتب التّجاري، بيروت، دط، دت.
8. معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثقافيّة للنشر والتّوزيع، بيروت، ط 2، 1980م.
9. المقدّمة، عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت، دط، 2001م.
10. من التّراث الأدبي للمغرب العربي، عبده عبد العزيز فلقيلة، عالم الكتب للنشر، القاهرة، دط، 1979م.
11. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريّين، رابح خلدوسي وآخرون، دار الحضارة، دط، 2003م.